سُورَةُ سَبَإٍ
مكية
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾

سورة سبأ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الثناء الكامل على وجه التعظيم والتبجيل لله جلّ وعلا، لا يستحق الحمد بأجمعه أحد سواه ﴿يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ يدخل في جوف الأرض من الأمطار، والكنوز، والأموات ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من الزروع، والنباتات، والمعادن ﴿لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ قال المشركون: لا قيامة، ولا بعث، ولا حساب ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ أُقسم لكم بالله العظيم، لتأتينكم الساعة فإنها آتية لا محالة ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾ لا يغيب عنه مقدار وزن أصغر ذرة في الكون ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ يظنون أنهم يعجزون ربهم ﴿رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾ لهم عذاب من أسوأ العذاب وأوجعه، والرجزُ: أسوأ العذاب وأشده ﴿مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ بليتم في الأرض وأصبحتم تراباً ورفاتاً ﴿خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ إنكم ستخلقون خلقاً جديداً بعد ذلك التمزُّق؟ ﴿أَفْتَرَىٰ﴾ هل كذب محمد على الله؟ ﴿أَم بِهِ جِنَّةٌ﴾ أم هو رجل مجنون يتكلم بما لا يعقل؟ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ لا يؤمنون بالبعث بعد الموت ﴿وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ في ضلالٍ وحيرة عن الحق، وذلك غاية الحماقة والجنون، وليس محمد كما زعموا أنه مجنون، فإنه ﷺ في غاية العقل والكمال، وهم في غاية السفه والضلال!!

قولُه تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ أي أقسمُ بالله العظيم لتأتينكم الساعة، ما في ذلك شكٌّ.

قال الحافظ ابن كثير: هذه إحدى الآيات الثلاث، التي أمر الله رسوله ﷺ أن يُقْسِم بربه العظيم على وقوعها، والثانية: في يونس ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ والثالثة: في التغابن ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ اهـ.

أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ
فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ
ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ
يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ
سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ ۖ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ
وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ
رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾
يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ
وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ
ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ
إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ
أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾

﴿نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ لو شئنا لخسفنا الأرض بهم كما فعلنا بقارون ﴿كِسَفًا﴾ أو نسقط عليهم قطعاً من العذاب كما فعلنا بقوم شعيب ﴿عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ عظة وعبرة لكل عبدٍ رجّاع إلى الله بالتوبة ﴿ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ﴾ أعطيناه فضلاً عظيماً، جمعنا له بين (النبوة) و(الملك)، فكان نبياً مَلِكاً ﴿أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ وقلنا: يا جبالُ سبّحي معه ورجّعي التسبيح إذا سبّح ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ ويا طيور سبّحي معه أيضاً. قال ابن عباس: كانت الطير تسبّح معه إذا سبّح، وكان إذا قرأ الزبور، لم تبق دابة إلا استمعت لقراءته، وبكت لبكائه ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ جعلنا الحديد ليّناً بين يديه كالشمع والعجين، لا يحتاج إلى إدخاله في النار ﴿سَٰبِغَٰتٍ﴾ اصنع من الحديد الدروع الكاملة التي تقي الإنسان شرّ الحرب ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ قدّرْ في نسج الدروع، فاجعلها حلقات متناسبة متداخلة ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾ تقطع مسيرة شهرين في الذهاب والإياب في أقل من نهار، أسرع من طائرة «البوينج» ﴿عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ أذبنا له النحاس ﴿مَّحَٰرِيبَ﴾ القصور الشامخة ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾ قصعات ضخمة تشبه الأحواض ﴿مِنسَأَتَهُۥ﴾ عصا سليمان عليه السلام ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ سقط ميتاً على الأرض، ظهر للجنّ أنهم لو كانوا يعرفون الغيب ﴿مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ ما مكثوا هذه المدة الطويلة، وهم في الأعمال الشاقة، التي كلّفهم بها سليمان عليه السلام.

تنبيه: كان الإنس يقولون: إن الجنَّ يعلمون الغيب، فوقف سليمان يصلّي، وهو متكئ على عصاه فمات، ومكث الجنُّ سنة كاملة يعملون، وهم لا يعلمون موته.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ
كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ
(١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ
جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ
(١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧)
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً
وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ (١٨)
فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ
أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ (١٩) وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا
فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ
إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُو مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٢١) قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ
اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢)

﴿لِسَبَإٍ﴾ قبيلة من العرب كانت تسكن اليمن ﴿ءَايَةٌ﴾ عبرة للبشر ﴿جَنَّتَانِ﴾ بساتين وحدائق تمتد إلى مسافات طويلة، عن يمين الوادي وشماله، ولم يرد جنتين اثنتين، بل أراد من كل جهة بساتين كثيرة ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ قلنا لهم: كلوا من فضل الله واشكروه على هذه النعم ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ بلدتكم كثيرة الخيرات، وربكم كريم رحيم ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن طاعة الله وشكره ﴿سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ فأرسلنا عليهم السيل الشديد، المخرِّب المدمِّر، فخرَّب بساتينهم ودورهم، وأبدلناهم بتلك البساتين الغناء، بساتين فاحلة جرداء ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ ثمر مُرّ بشع ﴿وَأَثْلٍ﴾ شجر لا يحمل الثمر ﴿سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ وبعض أشجار السدر القليلة، قال قتادة: بينما شجرهم من خير الشجر، إذ صيَّره الله من شرّ الشجر، بأعمالهم القبيحة، فأهلك أشجارهم المثمرة، وأنبت بدلها الأراك وما لا يثمر ﴿أَحَادِيثَ﴾ أخباراً تُروى، وقصصاً تُحكى ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ شتَّتناهم وفرَّقناهم في البلاد، حتى أصبح يُضرب بهم المثل، فيقال: «تفرَّقوا أيدي سبأ» ﴿ظَهِيرٍ﴾ معين في الخلق والتدبير، بل هو وحده الخالق لكل شيء - هذه القصة (قصة أهل اليمن) عظةٌ وعبرة لكل جاحدٍ لنعماء الله، فلقد كان أهل سبأ في رغدٍ من العيش، ونعيم عظيم، كانت البساتين والحدائق، تمتد عندهم إلى مسافات طويلة، وقد بنوا سداً عظيماً (سدّ مأرب) للانتفاع بمياه الأمطار، وجاءهم الخصبُ والرخاء، فكفروا النعمة، فدمَّر الله عليهم السدَّ، وأتلف الزروع والثمار، ومزَّقهم شرَّ ممزَّق، وفي ذلك عبرةٌ وآيةٌ عبرة.!

وَلَا تَنفَعُ الشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن
قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ
٢٣ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ
وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٢٤ قُل
لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ٢٥ قُلْ
يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ
٢٦ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ
ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢٧ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ
بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٢٨
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٢٩
قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ
٣٠ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا
بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ
رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ٣١

﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ زال الخوف والفزع عن قلوب الملائكة والأنبياء ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ ماذا قال ربكم في أمر الشفاعة؟ ﴿قَالُوا الْحَقَّ﴾ قد أذن فيها للمؤمنين فقط ﴿الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ المتفرد بالعظمة والكبرياء، وفي الحديث: «إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله - خضوعاً وإجلالاً - فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟..» الحديث رواه البخاري ﴿مَن يَرْزُقُكُم﴾ من الذي ينزل لكم المطر، ويخرج لكم الثمر؟ - وهو سؤال إفحام وإلزام - لا يستطيعون أن يقولوا: الأصنام ترزقنا، فقل لهم عند ذلك: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ أي الله هو الرازق لا آلهتكم المزعومة ﴿لَعَلَىٰ هُدًى﴾ أحدُ الفريقين نحن أو أنتم على الهدى، أو في الضلال الواضح!! ولم يجزم أنه على الهدى لئلا يثير حميتهم، فيعاندوا ويكابروا ﴿أَجْرَمْنَا﴾ لا نؤاخذون على ما ارتكبنا من إجرام ﴿وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ولا نؤاخذ بما اقترفتم من أعمال، وكل زارع يحصد زرعه، وهذا تنزُّل في المجادلة إلى غاية الإنصاف ﴿يَفْتَحُ بَيْنَنَا﴾ يحكم بيني وبينكم يوم القيامة ﴿الْفَتَّاحُ﴾ القاضي والحاكم ﴿مَوْقُوفُونَ﴾ محبوسون للحساب والجزاء ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ يتخاصمون ويتنازعون، ويلعنُ بعضُهم بعضاً، يقول الأتباعُ: أنتم سبب شقائنا وبلائنا!!

تذكير: أرشدنا المولى إلى أسلوب (المناظرة الحكيمة) لأن أحد المتناظرين إذا قال للآخر: هذا القول خطأ، أو أنت مخطئ، فإن ذلك يُغضبه، وعند الغضب تكون المكابرة والعناد، ولهذا جاء التعبيرُ بقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾!!

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ
عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ
تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ
هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ
مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾
وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾
قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا
زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ۖ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ
بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي
آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ
إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ وَمَا
أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾

﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ قال رؤساء الضلالة للأتباع ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ﴾ هل نحن الذين منعناكم عن الإيمان؟ ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ بل كفرتم من ذات أنفسكم لشقاوتكم وإجرامكم ﴿مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ قال الأتباع الضالون: بل خداعُكم لنا ومكرُكم بنا بالليل والنهار هو الذي صدَّنا عن الإيمان ﴿تَكْفُرَ بِاللَّهِ﴾ تحسّنون لنا الكفر ﴿وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا﴾ ونشرك بالله فنعبد غيره من الأوثان والأصنام!! فأنتم المسؤولون عن ضلالنا ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾ أخفَوْا في نفوسهم الندم ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ﴾ جعلنا السلاسل في رقاب الكفار الفجار ﴿زُلْفَىٰ﴾ ليست الأموال ولا الأولاد تقرِّبكم من الله قربى، إنما الإيمان والعمل الصالح ﴿جَزَاءُ الضِّعْفِ﴾ والمؤمنون تُضاعف لهم الحسنات ﴿الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ في قصور الجنة العالية يتنعَّمون فيها، آمنون من العذاب، ومن كل سوء ﴿مُحْضَرُونَ﴾ أمَّا الفجار الذين سعوا لإطفاء نور الله، فهم في عذاب جهنم مخلَّدون، تُحضرهم الزبانية للعذاب، لا يجدون عنها مصرفاً . . وإنما خصَّ تعالى المترفين بالذكر ﴿قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ وهم أهلُ الغنى والتنعُّم في الدنيا، لأنهم أول المكذبين للرسل، لما شُغلوا من زخرف الدنيا، بخلاف الفقراء فإنهم خالون من مستلذات الدنيا، فقلوبهم أقبلُ للخير، ولذلك كانوا أكثر أتباع الأنبياء، قال قتادة: المترفون هم جبابرتُهم وقادتُهم، ورُؤساؤهم في الشرّ.

﴿يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ يحشر الله المشركين جميعاً، للحساب والجزاء، ثم يقول للملائكة ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ أهؤلاء عبدوكم من دوني؟ وهل أنتم أمرتموهم بذلك؟ ﴿قَالُوا سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزهت وتقدست يا ربنا عن أن يكون معك إله أو شريك ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ أنت ربنا ومعبودنا الذي نخلص له العبادة!! ما أمرناهم بعبادتنا ﴿بَل كَانُوا يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ كانوا يعبدون الشياطين، الذين زينوا لهم عبادة الأصنام ﴿إِفْكٌ مُّفْتَرًى﴾ كذب مختلق ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ سحر واضح ظاهر، لا يخفى على لبيب ﴿يَدْرُسُونَهَا﴾ ما أنزلنا على قومك كتاباً يقرءونه قبل القرآن ﴿مِّن نَّذِيرٍ﴾ وما بعثنا إليهم قبلك رسولاً ينذرهم عذاب الله، فكيف كذبوك؟ ولم يأتهم كتاب ولم يأتهم نذير؟ ﴿بِمِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ وما بلغ كفار مكة عُشْر ما آتينا مَنْ قبلهم، من القوة، وكثرة المال ﴿نَكِيرِ﴾ كيف كان إنكاري عليهم بالعذاب والعقوبة؟ ألم يكن منكراً فظيعاً؟ ﴿أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ أنصحكم بخصلة واحدة ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ أن تتحروا الحقَّ لوجه الله، مجتمعين اثنين اثنين، أو منفردين واحداً واحداً ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ ثم تتفكروا في أمر محمد ﷺ الذي صاحبتموه مدة أربعين سنة، هل به جنون؟ أم هو أكمل الناس وأرجحهم عقلاً؟! فإنّ من ظهر على يديه هذا الكتابُ المعجزُ، لا يمكن أن يكون به شيءٌ من الجنون، وإنما قال: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ ليُنبِّههم إلى أن هذا الرسول، صاحَبَهم وعاش بين أظهرهم مدة (٤٠) عاماً، أفلا يكفي هذا الزمنُ الطويل أن يعرفوا حقيقته!!

قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ
فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن
مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن
مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ
بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ
كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

سُورَةُ فَاطِرٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ
أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ
وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾

﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَاطِلُ﴾ جاء القرآن الساطع المبين، وزهق الشرك فذهب إلى غير رجعة، فلم يبق له إقبال ولا إدبار، كالشمس إذا طلعت بددت الظلام!! ﴿فَزِعُوا﴾ لو ترى حال المشركين، حين يخرجون من قبورهم فزعين ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ أي لا مخلص لهم ولا مهرب ﴿مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ وأخذوا من أرض المحشر إلى نار الجحيم!! وجواب (لو) محذوف للتهويل أي لرأيت أمراً هائلاً، ومنظراً فظيعاً ﴿ٱلتَّنَاوُشُ﴾ ومن أين لهم تناول الإيمان؟ وقد ذهبت عنهم الدنيا فصارت بمكان بعيد؟ وهذا تمثيل بديع، شبّه حالهم بمن يريد تناول شيء بيده، وبينهما مسافات شاسعة بعيدة ﴿مَا يَشْتَهُونَ﴾ حيل بين الكفار وبين ما يشتهون، من التوبة، والرجوع إلى الدنيا ﴿بِأَشْيَاعِهِم﴾ كما حصل لأمثالهم وأشباههم في الكفر ﴿شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ في شك وارتياب، من أمر الآخرة والحساب.

سورة فاطر

﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مبدعهما على غير مثالٍ سابق، بمعنى مخترع ﴿أُولِىٓ أَجْنِحَةٍ﴾ أصحاب أجنحة منهم من له جناحان، أو ثلاثة، أو أربعة ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ يزيد في خلق الملائكة من تعدد الأجنحة، وضخامة الأجسام ما يشاء، وقد «رأى الرسولُ جبريلَ له ستمائة جناح» رواه مسلم ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ كيف تصرفون عن عبادة الرحمن، إلى عبادة الأوثان؟